فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

(تفسير سورة فاطر آية 11إلى 18)

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ : أحمد عبد المنعم

رابط المـادة : http://way2allah.com/khotab-item-104181.htm

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده محمد -صلّى الله عليه وسلم-

نستكمل بإذن الله عز وجل تفسير سورة فاطر، كنا توقفنا عند قول الله عز وجل الآية العاشرة، خلصنا إنتهينا من اللآية 10، قول الله عز وجل في الآية 11" وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ "فاطر:11، إتكلمنا المرة اللي فاتت بفضل من الله عز و جل وتوفيقه في بدايات هذه السورة العظيمة، وإبتداء هذه السورة بالحمد، و الكلام على فاطر السماوات و الأرض، وحقيقةً طول ما إحنا ماشيين في السورة زي ما قلنا بنجد ملمح كده إسمه ملمح التنوع، بنلاقي التنوع موجود كثير في السورة، التنوع بين المخلوقات، التنوع في الألوان، التنوع بين أن الصنف الواحد حتى فيه منه أنواع شتى، زي ما قلنا بدأت السورة، إن فيه مخلوق واحد هو الملائكة، وظيفة واحدة هي رسل، و بالرغم من ذلك فيه تنوع "أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ"، هنشوف أن ملمح التنوع ده مكمل معانا طول السورة.

من يظن أن العزة في البعد عن الله فقد أخطأ الطريق

بعد بردو الكلام عن أن الله عز وجل هو الخالق، الله عز وجل هو الرزاق، الله عز وجل هو الذي يملك كل شيء، بعد الشوط ده ربنا سبحانه وتعالى قال إن فيه ناس بتبتعد عن ربنا سبحانه وتعالى بسبب إيه؟ بسبب إن هي بتتعامل بالأسباب المادية فتظن أن العزة في غير طريق الله عز وجل، بتظن إن هو لو مشي في طريق ربنا مش هينال العزة، فربنا سبحانه وتعالى بيصحح لنا هذه المعلومة و يقول " مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً " فاطر:10، اللي عايز يعيش في عزة و مَنَعة و طمأنينة، و سكينة فليلجأ إلي الله سبحانه وتعالى، هذه الأشياء عنده سبحانه و تعالى وحده، قال الله سبحانه وتعالى " وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى*وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى" النجم45:43 فبعد الآيات قول الله عز وجل "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ"، و إتكلما في الاحتمالات بتاعت الآية فبدأ شوط ثاني من قدرة الله سبحانه و تعالى المطلقة.

القرآن يخاطبك أنت ككل بكل مشاعرك

القدرة أيضًا و ما فيها من تنوع، و أن الذي يفعل هذه الأشياء هو الله سبحانه وتعالى، بحيث أن نجد القرآن دايمًا القرآن بيخاطب الإنسان ككل، مش بيخاطب عقلك، يعني القرآن مش بيقول لك، لو كان القرآن بيخاطب، بيدينا معلومات ففط، كان ممكن القرآن كله يخلص في ثلاث صفحات، أن الله واحد، أن الله يريد من الناس إن هما يعبدوه، الله عز وجل خلق جنة، الله عز وجل خلق نار، إعملوا الحاجات اللي تدخلكم الجنة ما تعملوش الحاجات اللي تدخلكم النار خلص القرآن، لكن القرآن بيخاطب كبني آدم ليك مشاعر، خوف و رجاء، و حب و أمل، وعندك ممكن تحبط، و فيه

يأس يعالج كل هذه الأشياء فيك ككل، فتجد أنه شوط يحطلك المعلومة في وسط شوط مثلًا من الكلام عن قدرة ربنا، قبل المعلومة الكلام عن العزة، الكلام هنا عن العزة قبله كلام عن قدرة ربنا وبعده كلام عن قدرة ربنا، فتستقر هذه الحقيقة في قلبك، توقن يعني خلاص لما تسمع "فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا"فعلًا "فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا".

هناك تنوع نافع و هناك تنوع ضار

بدأ الشوط ده من قول الله عز وجل "وَاللَّهُ"، والبداية بإسم الله عز وجل العلم لفظ الظاهر، مش وهو "وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا"، إتكلم هنا ربنا سبحانه وتعالى بردو أن أصل الخلقة بتاعتنا كلها واحدة، وأن البداية بتاعتنا كلها واحدة و هي التراب، و بالرغم أن البداية من تراب و بعدين نطفة، إلا إن ربنا سبحانه وتعالى قدر إن إحنا نبقى أزواج، عشان كده ما قالش ثم خلقكم، قال ثم جعلكم أزواج، ربنا خلى إن قضية التناسل تبقى عن طريق زوجين، "ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا"، "وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" النساء:1، ربنا خلى فيه التزاوج ده، التزاوج ده فيه اختلاف ما بين الرجل و المرأة، فيه تنوع فيه اختلاف، هنا بقا التنوع نافع، زي ما هنشوف أن في السورة أحيانًا التنوع يكون نافع و أحيانًا التنوع يكون ضار، أحيانًا التنوع يكون مقبول، و أحيانًا التنوع يكون غير مقبول، زي ما هيبقى عندنا تنوع في درجات أهل الإيمان، و هيبقى أحيانًا تنوع أن فيه مؤمن و فيه كافر، فالمؤمن لا يستوي مع الكافر، لكن أهل الإيمان يخشوا الجنة حتى لو فيه بينهم فرقات و درجات.

الله عز وجل متفرد في تقدير كل هذه الأمور

فهنا ربنا سبحانه و تعالى بيقول "خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا"، طبعًا كلمة ثم دي بتفيد أن فيه مرحلة عظيمة، عشان الإنسان ينتقل من تراب إلى نطفة، أو الإنسان ينتقل من نطفة إلى مرحلة التزاوج ده شوط عظيم جدًا من القدرة لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، و لا يستطيع أحد أن يفعله إلا الملك سبحانه و تعالى، فعايزك تقرأ الآيات كده " وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ"، لما تجيب شوية تراب، أنا اللي من لحم ودم و مشاعر و بتحرك و بفكر، و بفعل و و و، ده كان أصلي إزاي؟ إزاي تحول هذا التراب إلى هذا الإنسان، "ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا"، و قلنا هنا بردو التنوع و نجد أن الإنسان هنا بيمر بمراحل، أن الآية دي بتتكلم عن مراحل خلق الإنسان من أول التراب إلي أن يموت، و أنه طول فترة التراب دي من أول ما كان تراب نطفة، أزواج، وهو في الحمل "وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ"، أثناء مرحلة الوضع، و أثناء مرحلة النمو "وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ"، كل المراحل دي الإنسان لايستطيع أن يفعل فيها شيء، ربنا سبحانه وتعالى اللي بيقدر إمتى يحصل أن النطفة تتكون، الله عز وجل اللي بيقدر إمتى الحمل يتم، الله عز وجل بيقدر هل الحمل ده هيتم للآخر ولالا، الله عز و جل بيقدر هل الحمل ده هينتج إنسان سوي ولا لا، الله عز وجل بيقدر إن الإنسان ده يفضل عايش لغاية إمتى، الله عز وجل هو يفعل ذلك وحده سبحانه وتعالى.

كن على يقين أن أي شيء لا يتم إلا بعد إذن من الله

إزاي إنسان بعد كل ده وهو مفتقر إلى الله عز وجل في قبل وجوده، و في أثناء وجوده، و في بعد وجوده، فيما قبل خلقه و أثناء الخلق، وبعد الخلق، هو مفتقر إلى الله في كل هذه المراحل فكيف يلجأ إلى غير الله سبحانه وتعالى،

" ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ"، الآية دي ما جاتش بتعبير إيه، أي أنثى تحمل الله عز وجل يعلمها، لا جت بصيغة الحصر و القصر كأن حصل مسح كده إستقصاء لكل البشر، و بعد ما جبنا كل البشر فصلنا الإناث عن الذكور، و بعد ما فصلنا الإناث عن الذكور عملنا بحث في رحم كل إمرأة مين فيها اللي هيحصل أو مين الأول اللي هتصلح للحمل، و بعد ما جيبنا اللي هيصلحوا للحمل مين فيهم الي حصل فيهم حمل فعلًا، و يتم إكتشاف ده مبكرًا هذا كل عند الله لايساوي طرفة عين، ده في معايير البشر لما يجبوا يعرفوا كده ومش هيعرفوا، لكن الله عز وجل بيقول و كأن أي أنثى قبل أن تحمل تستأذن "وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ" كأنها قبل أن تحمل تستأذن و قبل أن تضع تستأذن، فإذن أذن الله عز وجل تم ذلك و إن لم يأذن لم يتم ذلك.

كل شيء يستأذن من الله أولًا

كالشمس زي ما هيجيلنا " وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى"فاطر:13، الشمس قبل أن تطلع يوميًا تستأذن، الورقة قبل أن تسقط"وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ" الأنعام:59، الورقة تستأذن، المؤمن لما يعيش هذه الحياة و يستشعر بيقين أن كل شيء في الكون هو ملك للملك سبحانه و تعالى و لا يتحرك متحرك و لا يسكن ساكن إلا بإذنه، خلاص بيبقى إنسان موقن هو يعلم أن كل اللي حواليه جنود ربنا "وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ" المدثر:31، يعلم أن الأرض أرضه سبحانه وتعالى، و السماء سماؤه سبحانه وتعالى، يفعل ما يشاء.

قصة رجلين رضوا بالله و أيقنوا به

لذلك الراجل اللي كان اقترض 100أو 1000 دينار و راح لراجل غني و قال له أنا عايز 1000 دينار قال من كفيلك قال الله كفيلي، قال من وكيلك قال وكيلي، و أخذ الألف و سافر و بعد ما جه موعد البحر جه يركب البحر ما لقاش سفينة، الحديث في البخاري، فحط المال في زجاجة و رماها في البحر، العجيب هو ليه رماها في البحر ده عنده يقين، أولًا هو أخذ بكل الأسباب المتاحة أمامه، هو يعلم أن البحر ملك لربنا و هو قال الله كفيلي، و الراجل قال له رضيت بالله، فاللي بينهم هنا ربنا فلما راح ما لقاش السفينة قال يارب أنت كفيلي، و البحر بحرك و الهواء هوائك، و الملك ملكك خايف من إيه فرماها، الراجل الثاني طلع قعد ينتظر ما حدش جه لقا خشبة قال خلاص هروح، أحطط بالخشب ده بيكسرها في البيت لقى المال، الراجل الثاني بعد فترة اللي رماله الفلوس جمع بردو ألف دينار أخرى و جاء و ركب السفينة و بعدين قال له بعد ما وصل له قال له دي الفلوس معلش أنا بعتذر ما عرفتش أجيلك في الميعاد، قال له إنت ما بعتش حاجه فما رضاش يقول له القصة، شوف من إخلاصها قال له ألم أقل لك أني لم أجد سفينة، قال إذهب فقد قضى الله عنك، فالشاهد و كأن الراجل ماشي و التاني معتقد أن ربنا فعلًا اللي قضى عنه، لأنه رضي بالله كفيل، حتى أبو هريرة بيقول كنا نتنازع في المسجد حتى تعلوا أصواتنا، أيهما أفضل اللي رضي بالله كفيل، و لا اللي كان عنده يقين، مين اللي عنده يقين أعلى، فالشاهد أن المؤمن لما بيتملك اليقين من قلبه فعلًا بيتعامل هذه المعاملات، خلاص يعمل أم كل شيء ملك الله سبحانه و تعالى و لا يحزن أبدًا و لا ييأس أبدًا.

مهما قال الأطباء لا يعلم حياة الإنسان إلا الله

فيقول الله عز و جل "وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى"، أي كانت الأنثى سواء بالبني آدمين أو الحيونات، أو حتى للزهور أو لأي شيء، "وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى"، و إن كان فعل تضع للإنسان "وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ"، يبقى الإنسان عشان يتحول من تراب إلي نطفة مرحلة التزاوج ثم الحمل، ثم يستمر فترة في الحمل، الله عز وجل هو الذي يقدر متى ينزل هذا الإنسان، مهما الأطباء قالوا أن الحمل احتمال يبقى كذا، احتمال يبقى كذا لا يعمل ده إلا الله سبحانه وتعالى، و لا يعلم حياة الإنسان إلا الله سبحانه وتعالى "وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ" سبحانه وتعالى.

لا يمكن للنفس أن تموت إلا بإذن الله

طيب بعد ما نزل فترة الحياة "وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ"، الفترة اللي هيقعدها، "وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ"، قيل التعمير هو 60 سنه، أو 70 سنة، يعني زي ما النبي –صلّى الله عليه وسلم– "أعمارُ أمتي ما بينَ الستّينَ إلى السبعينَ وأقلُّهم من يجوزُ ذلِكَ" حسنه الألباني، ربنا يعلم مين اللي هيقعد العمر ده كله، و مين اللي هيموت "وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ" ، و مين اللي هيموت قبل كده، مين اللي هيموت عن سن 3 سنين، أو 10سنين أو 20 سنة أو 30 سنة، دي مهما علم الإنسان لم يعلم موعد الوفاة، دي حاجة إستأثر الله عز وجل بعلمه سبحانه وتعالى، لذلك كانوا جابوا واحد حاول ينتحر تقريبًا 17 مرة تحس سبحان الله يعني، "وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" آل عمران:145، كأن هي قبل ما تموت كمان تستأذن مش واحد يقول لك أنا حر أنا هموت "وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا" ليه ميعاد لا يتخلف عنه.

تذكر أن أصلك كان مجرد تراب

"وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ"، كل ده اللي إحنا بنتكلم فيه ممكن إستقصاء ده في حياتنا يأخذ شهور و سنين ومجلدات، ربنا بيقول "إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" سبحانه و تعالى، فالتنوع في فترة البقاء، التنوع في الشكل في الرحم، التنوع في زمن النزول الوضع، التنوع في كل ده الله عز وجل هو اللي بيقدره، و أصل كل ده هو التراب، يبقى نفس الفكرة مستمرة معانا، أصل واحد ممكن ينتج عنه أشياء شتى، و زي ما قلنا التنوع ده قد يكون نافع و قد يكون ضار، "إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" سبحانه و تعالى، و كلمة إن ذلك على اليسير زي ما قلنا بردو بتزود تعلق القلب بالله سبحانه وتعالى أنه ما يتصعبش حاجه على ربنا.

إذا طلبت من الله فألح في الدعاء و لا تقل أعطني إن شئت

إن الله عز وجل زي ما النبي –صلّى الله عليه وسلم– بيقول "إذا دعا أحدُكم فلا يقُلِ : اللّهمَّ ! اغفِرْ لي إن شئتَ . ولكن ليعزِمِ المسألةَ . وليُعظِّمِ الرَّغبةَ . فإنّ اللهَ لا يَتعاظمُه شيءٌ أعطاه"صحيح مسلم، إذا سأل أحدكم فليعزم في المسألة النبي –صلّى الله عليه وسلم– بيقول ، لما حد يجي يطلب ما يقولش اللهم أعطني إن شئت، ماتقولش يارب لو تشاء إديني لا فليعزم في المسألة، و ليلح في الدعاء فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه، مافيش حاجه عظيمة ما حدش يقول لك أصل ده كبيره أوي مافيش حاجه كبيرة عن ربنا، "إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ".

الدلالة على قدرة الله المطلقة

"وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا"، سورة فاطر زي سورة الأنعام و سورة الرعد و غيرها من بعض السور، اللي فيها كلام عن قدرة ربنا كتير و الآيات الكونية، الكلام عن الآيات الكونية لما بيجي في القرآن له أكثر من دلالة، إما الدلالة على قدرة الله في الخلق، أو الدلالة على دلالة هذه المخلوقات على البعث، قد يراد بالآيات كل اللي أنا هقوله ده، يبقى قد يراد بهذه الآيات الدلالة على قدرة الله المطلقة، أو الدلالة بهذه المخلوقات على البعث، أو الدلالة على عجز الإنسان عن فعل مثل هذه الاشياء، " مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا" النمل:60، ما تعرفش تعمل إنت كده، يبقى قدرة ربنا المطلقة دلالة على البعث، أو الإستفادة من هذه المخلوقات في حياة الإنسان، لأن اللي خلق الخلق هو اللي خلق الإنسان.

متى تنتهي الظلمات؟

فممكن الإنسان يستفيد في هذه الأشياء في حياته المعنوية، كما أن لله عز وجل سنن في الخلق، كذلك فيه سنن في حياة الإنسان المعنوية إزاي؟ زي ما ربنا سبحانه و تعالى خلق الظلمات و النور، خلق الإيمان و الكفر، فـــالكفر أشـــبه بالظلمات، و الإيمان أشبه بالنور، لذلك النور دايمًا في القرآن يأتي مفرد لأنه حق واحد، و الظلمات دايمًا في القرآن تأتي جمع لأن الكفر طرائق قددا، و الحل عشان الظلمات تمشي مش إن إحنا نقعد نزعق و نقول إمشي يا ظلمات، الحل إن الظلمات تمشي إيه اللي يحصل؟ أن النور يجي بس أول لما يجي النور نقول قل جاء الحق إيه الي هيحصل ذهب الباطل، زي ما قلنا في آخر سبأ، يبقى إذًا الإستفادة من هذه المخلوقات، و دايمًا و دي نقطة كتير جدًا في القرآن، يعني ممكن صعب إحصائها في القرآن، حتى أن الأقسام تأتي بقسم شيء مخلوق مادي عل سنة معنوية من السنن، مثلًا "وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ* النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ" الطارق4:1، يقسم الله عز وجل بحفظ السماوات على اتساعها على أن الله عز وجل يحفظ الإنسان، مسألة الحفظ.

الإنسان حينما يسرف في المعاصي يكون أسوأ من الحيوان

كذلك الصراع بين الماء و النار، " أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ "الرعد:17، إذًا الآيات الكونية اللي بتذكر في القرآن لها أكثر من دلالة، قد تراد بها كل هذه الأشياء، من هذه الدلالات لما تيجي آيات كونية إن إحنا ممكن نسقط الآيات دي على حياتنا، إن إحنا نستفيد من الحاجات دي، و بالفعل بدأ حتى ناس يقولوا أن حتى صفات الجمادات و صفات الحاجات دي ، ممكن الإنسان يستفيد منها في حياته، إنه ممكن يبقى فيه شخص شخصيته قوية زي المعدن كذا، أو واحد و العياذ بالله تصل به الدنائة أنه ممكن يصل إلى طريقة تفكير حيوانية، حيوانات كذا، لذلك قالوا زي نفس بهيمية أو سبعية أو حيوانية، لذلك حتى ربنا سبحانه وتعالى لما جاب لفظ عمل السيئات مع الإنسان المسرف في السيئات جاب لفظ للحيوانات، قال الله عز وجل وفي سورة الجاثية

" أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" الجاثية:21، الاجتراح ده السباع و الكلاب لما بتيجي تاكل فريسة مش عايزه حد يشاركها في الفريسة

بتاعتها، فمش بتاكل على أد الحتة بتاعتها و خلاص، مش بتقطع حته مثلًا و تأكلها، ده بعد ما بتموت الفريسة بتاعتها بتقعد تنهش في كل حته تجرح فيها عشان ما حدش يجي يأكل معاها حتى لو مش هتاكلها كلها، ده دلالة على النهم اللي موجود عندها و الطمع، فالإنسان و العياذ بالله لما بيفجر في المعاصي و يجي يعمل معاصي تلاقيه بيسرف، يفجر في المعاصي، فربنا هنا جاب لفظ، وربنا سبحانه وتعالى قال إن هما " كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً" الفرقان:44.

إذا أردت أن يحرم الله النار عليك فكن مؤمن لين سهل

دي مقدمة عشان نفهم منها التنوع اللي جه في السورة دي تحديدًا، و إن كلمة و ما يستوي جت معانا هنا في السورة أكثر من مرة، "وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ"، "وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ" فاطر 22:19، زي ما هيجيلنا إن شاء الله، فبعض العلماء قال المقصود من هذه الآيات، إسقاط الآيات دي على المؤمن و الكافر، و الحق و الباطل، لذلك الإمام الزمخشري قال مثلًا "وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ" قال المقصود بالعذب الفرات ده الإنسان المؤمن، و الملح الأجاج ده الإنسان الكافر، و إن المؤمن طيب سهل مستساغ قال النبي –صلّى الله عليه وسلم– "إنَّما يحرُمُ على النَّارِ كلُّ هيِّنٍ لَيِّنٍ قريبٍ سهلٍ" صحيح بن حبان، سائغ شرابه السئغان ده اللى هو بينزل بيجري بدون صعوبة، التاني فيه تجرع، يتجرعه و لا يكاد يسيغه مش مستساغ، مش عارف يبلعه، فالمؤمن سهل نافع للناس، عذب خالص من الشوائب والكفر.

الناس و الطبائع تختلف من شخص لآخر

فقالوا ده زي ما ربنا خلق مخلوقات و بينها تضاد، كذلك كأن دي بردو تصبير للنبي –صلّى الله عليه وسلم–، لأن إحنا عندنا شوط طويل بدأ من قول الله عز وجل "أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ" فاطر:8 ، النبي –صلّى الله عليه وسلم– زعلان إن فيه ناس بتكفر، فربنا بيقول له دي سنة ربنا في الكون، فيه تنوع، فيه مخلوقات كده وفي مخلوقات كده، كذلك الناس في منها المؤمن و في منها الكافر، في منها السهل و فيه منها الصعب، فيه منها العذب الفرات، و فيه منها الملح الأجاج، حتى في الطبائع الشخصية، في واحد كده في واحد شديد، و فيه واحد سهل.

ما وجه الشبه بين الكفر و بين البحر المالح؟

فبعضهم قال "وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ"، بعضهم قال المقصود هنا المؤمن و الكافر، طب إيه علاقة "وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا"، طب ده كده فيه مدح للبحر الملح الأجاج إن إحنا بنستفيد منه، فهل المقصود أن الكافر بردو نستفيد منه؟ بعضهم قال معنى الآية دي إيه؟ كأن ربنا بيقول الكافر زي البحر الملح الأجاج، بل الملح الأجاج أفضل منه لأنه نافع للناس و هو ليس أنفع للناس، زي بالضبط قول الله عز وجل "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً" البقرة:74، بعد ما ربنا شبهها بالحجارة قال لهم لا ده حتى الحجارة إيه قال بعد كده إيه في تكملة الآية " وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ"، جاب أنواع أن فيه اللي

بيهبط من خشية الله و اللي بيتشقق، و اللي بيتفجر منه الماء، فقال ده حتى الحجارة أحسن منهم، فكأن هنا بعد ما ربنا شبه الكافر بالملح الأجاج و خلاص التشبيه استقر، و دي حاجة ممكن ينفر منها الإنسان، فربنا قال لنا ده البحر حتى الملح الأجاج فيه منافع مش عند الكافر.

دلالات قدرة الله المطلقة اختلاف البشر رغم خلقهم من شيء واحد

و بعضهم قال لا المعنى، أن الله عز وجل الموضوع مالوش علاقة بالمؤمن و الكافر الموضوع أن زي ما ربنا كان الماي خلق الإنسان الأول من تراب واحد، و مواد خلق الإنسان واحدة، الآية اللي قبلها "خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ"، لكن الإنسان جه متنوع في الشكل و في الأخلاق و في كل حاجه، حتى كل واحد له بصمة خاصة به، فكذلك بالرغم أن البحر ميه، و الأنهار ميه إلا إن هما مختلفين، فبردو ده استكمال دلالة ربنا، دلالة قدرة ربنا أن أصل الشيء ممكن يبقى واحد لكن ربنا قادر أنه ينوع ده، زي بالضبط الآية بتاعت سورة الرعد "يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ" الرعد:4، هي طينة واحد و ميه واحده اللي بتغذيه، يسقى بماء واحد لكن إيه "وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ"، دي ما يعملهاش غير ربنا، فالتفاضل ده قدرة ربنا سبحانه وتعالى المطلقة.

الكافر يأخذ نتاج عمله في الدنيا و ليس له شيء في الآخرة

وبعضهم قال المقصود فعلًا المؤمن و الكافر، و أن الكافر له منافع دنيوية يستفيد منه الإنسان في المنافع الدنيوية، لكن ليس له منافع إيه ؟ في الآخرة، و قالوا أن "وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا"، قالوا دي المنافع الدنيوية للكافر، و إن الإنسان المسلم هيتعامل مع الكافر في المنافع الدنيوية، أنه يستفيد منه في الدنيا لذلك، إن الله عز وجل لا يظلم أحد مثقال ذرة سواء مسلم أو كافر، فالكافر لما يجي يعمل خير للناس يعطي بها في الدنيا، ياخد أجره فين؟ في الدنيا و يلقى الله عز وجل ليس له شيء، معايا فالمنافع الدنيوية اللي بيقدمها الكافر للناس أشبه بالمنافع اللي بيستفيد منها الإنسان المسلم من البحر الملح الأجاج.

الدلالة على أن الكفر سيكون أكثر نسبة من الإيمان

و بعضهم قال أيضًا إن من جمال هذا التشبيه، أن من البحار الملح الأجاج أكثر من الأنهار، و أن ده دلالة أن الكفر دايمًا هيبقى إيه، هيبقى أكثر، يعني نسبة البحر الملك الأجاج أكبر بكثير من الأنهار، ده دلالة على كثرة انتشار الكفر "وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ"الأنعام:116، و بعضهم بقا إتكلم في الآيات دي كتير في الإشارات في مسألة الإيمان و الكفر، و دلالة العذب و الفرات على الإيمان و الملح الأجاج، وقالوا إشارات وده اللي بعض العلماء بيسموه التفسير الإشاري، أو التفسير بالقياس، يعني إيه إشارة التفسير بالقياس، يعني ربنا إداك حاجه إنت بتقيس عليها حاجه شبيهة لها.

اختلاف طبائع الناس أمر مفيد لنا

و بعد ما ربنا قال" وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا"، قدرة ربنا أنه يضع المنافع في الأشياء المختلفة، زي ما جعل الملائكة رسل أولي أجنحة، بردو أحيانًا سبحان الله دي بردو نقطة في اختلاف لو قلنا أن البحر الملح الأجاج و العذب الفرات، ده اختلاف طبائع الناس الشخصية، أحيانًا تجد سبحان الله ناس بتحب المعاملة دي ناس متجيش غير بالشدة، و ناس تحب المعاملة اللينة، تجد حتى إن الطبائع الشخصية واحد شديد، تلاقي فيه ناس بتحب هذه الشدة، و في ناس لابتحب المعاملة التانية، فكلمة "وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا"، أن هذا التنوع إحنا اللي مستفيدين منه، الناس بتستفيد، لذلك حتى كثير من العلماء لما إتكلم في مسائل اختلاف العلماء في شرع، بعضهم قال بسبب تصحيح الدليل، إن واحد ما بلغوش الدليل، أو واحد صحح حديث و ضعف حديث، أو أو أو.

أحيانًا يجعل الله الفاجر سبب في نصرة هذا الدين

و بعضهم لما ذكر من أسباب اختلاف العلماء إن فيه واحد بيميل للشدة، فدايمًا بيختار أقوال معينة، هو طبيعته النفسية، واحد بيميل للأحوط، واحد بيميل للسير، دي طبيعة شخصية قلما يستطيع الإنسان أن يتخلص منها في اختيارته الفقهية، إن الإنسان يجب أن يكون حذر في هذا، فالشاهد إيه "وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا"، مهما تنوعت الأشياء ربنا سبحانه وتعالى يضع منافع في ذلك،أو بعضهم قال "وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا"، أن الله قادر على استخراج المنافع من الكافر، سواء أنه يسلم، أو أن هذا الكافر و الفاجر ينصر الدين وهو كافر وفاجر، "إنه لا يدخلُ الجنّةَ إلا نفسٌ مسلمةٌ ، و إنّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هذا الدِّينَ بالرجُلِ الفاجرِ" صححه الألباني، يعني فرعون لما جمع السحرة، جمعهم من كل مكان في مصر، عشان مين، عشان سيدنا موسى يناظرهم، و أسلموا، لو كان سيدنا موسى هو اللي عمل كده ما كانش يعرف يجمع السحرة، هيلف مصر كلها إزاي، لأن قال إبعث في المدائن في كل مصر كلها حاشرين، مين اللي جمع له السحرة فرعون، فقام بخدمة جليلة جدًا للدعوة بالرغم أن هو مات كافر، فكذالك أحيانًا يسلط الله عز وجل جند الغباء على بعض الكفار يخليهم يعملوا أشياء تفيد المسلمين.

لا تنسب الأشياء للأسباب و تترك المسبب

ثم يقول الله عز وجل "وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"، إنت بتشوف أثر هذه النعمة، نعمة البحار و التنقل،" وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ" ، يمخر الشيء يعني بيشقه، ترى السفن تشق البحار و تسير فيها " لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"،يبقى إذًا أهم غرض أساسي لهذه النعم شكر نعم الله عزو جل، الإنسان لا ينسى أبدًا أن الإنسان مع طول الإلف العادة بينسب الأشياء للأسباب، أه السفينة على المية أصل الكثافة و الحجم، و الخصائص الفيزيائية بتاعت الميه، فالإنسان اكتشف كذا، هو مين اللي وضع هذه الخصائص؟ يعني لما الإنسان يستفيد حاجة من الحديد أو النحاس، و يكتشف حاجة زي السبيكة، أو يكتشف أي حاجة هو بينسب الفضل لنفسه، طب مين اللي أعطاك العقل إنك تكتشف، و مين اللي خلق هذه الأشياء و مين اللي وضع فيها هذه الخصائص، بل مش مين اللي وضع فيها الخصائص، مين اللي خلى الخصائص دي ثابتة، تخيل لو خصائص الميه متغيرة، النهارده نركب البحر بكرا تخاف، تخيل لو كان الخصائص بتاعت المواد بتتغير، تخيل لو الحديد مش صلب، النهارده صلب، بكرا ما إحناش عارفين، من رحمة ربنا أنه خلى الخصائص دي ثابتة ما تتغيرش، لو كانت الخصائص متغيرة لم تقم حياة للناس، يخافوا

يبنوا لحسن البيت يقع، إفرض الحديد بكرا بقا سائل ما عادش صلب، و إفرض اليه ما شالتش السفن سقطت، فإذا رؤية هذه الأشياء تستدعي الشكر من الإنسان،"وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"، و إنت بتطلب فضل ربنا ما تنساش تشكر ربنا "وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ".

لماذا يضعف الدين في بعض الأوقات؟

" يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ"فاطر:13، ده على مستوى الأرض، مستوى البحار و السفن، على مستوى السماء، حركة الليل و النهار هذه لا يملكها إلا الله عز وجل، "فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ" البقرة:258، هذا التداخل بين الليل و النهار و هذا الصراع أيضًا قيل ده أشبه بصراع الحق و الباطل، و أن صراع الحق و الباطل، هيبقى متداول، لما قال له هرقل سأل أبا سفيان مين اللي بينتصر، فقال: إن الحرب بيننا و بينه إيه سجال، دي من علامات الصراع بين الحق و الباطل، دي سنة، إن الصراع دايمًا متداول "تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ"آل عمران:140، من الحكم اللي ذكرها العلماء، ليه دايمًا الحرب سجال ليه مش المسلمين بينتصروا على طول، لو المسلمين بينتصروا على طول كانت الناس كلها تبقى مسلمة، لكن لازم ابتلاء أن الدين يمر بمراحل ضعف، لما الدين يمر بمراحل ضعف هنا هيظهر حقيقة الإنتماء، إنت انتميت عشان للإسلام، عشان تعبد الله عز وجل ولا عشان تاخد المغنم، "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ"الحج:11، قيل يعبد الله على حرف من المعاني الجميلة اللي ذكرت، إن لما يروح يقاتل يقف على حرف الجيش،"فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ"، لما الجيش ينتصر هو واقف في الحرف أول لما الجيش ينتصر يقوم إيه، يقوم داخل في النص الله أكبر، يقوم إيه و داخل، أول لما الجيش يتغلب أنا أصلًا مش معاهم، و يقوم لافف و ماشي، فمداولة الأيام عشان يظهر الإنسان الصادق من الإنسان الكاذب.

كل شيء لا يأتي إلا بالتدريج

" يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ"، وفعل يولج بصيغة المضارع ده، من رحمة الله أنه مش مثلًا بيبقى نهار و فجأه يجي ليل، و بعدين ليل وفجأه يجي نهار، لا ده الموضوع بيجي فيه نوع من إيه، من التدريج يعني الموضوع كده شوف منظر غروب الشمش وهي بتأتي، وهي بتغرب كده إيه وحده وحده، أو هي بتشرق فده من رحمة الله عز وجل، وده أيضًا سنة، إن دايمًا التغيير بيجي على مراحل من التدريج، إحنا دايمًا، أو إحنا معتقدين،دلوقتي في الزمن اللي إحنا بنعيشه، أن الخلافة الإسلامية سقطت 1924ميلادي، إحنا معتقدين إن لغاية 1924 ميلادية، ما كانش فيه أي أخطاء ولا أي حاجه و فجأه المسلمين وقعوا، و عايزين حد فجأة يطلعنا، لا الموضوع بيمر بمراحل، ده قعد سنوات و قرون تمر بمراحل ضعف و انهيار كتير جدًا جدًا جدًا، و عشان تقوم بردو مش هتقوم غير كده، غير من مجموع بذل اللي إناث كثير جدًا، و تراكم جهود لسنوات.

ليس دورنا هو الإنتظار فقط

مشكلة أن العقل اللي إتربى على إنتظار صلاح الدين، أو إنتظار المهدي دي مشكلة خطيرة جدًا، لذلك عجبني كاتب في كتاب جميل جدًا إسمه هكذا ظهر جيل صلاح الدين دكتور ماجد الكيلاني، كان بيقول كلمة جميلة أوي، أولًا اختار إسم الكتاب مش هكذا ظهر صلاح الدين، هكذا ظهر إيه جيل، بيقول أن التغيير بوجود جيل مش بوجود شخص، و قال بيقول أنا إستقرأت اللي كُتب في المقدمة، إستقرأت اللي كُتب في صلاح الدين وجدة آفة خطيرة جدًا إن كل اللي بيتكلم بيتكلم عن الصفات الشخصية لصلاح الدين فقط، فبيقول ده بيؤدي إلي مشكلتين تربويتين خطيرتين جدًا في المجتمع، المشكلة الأولى بالنسبة لعامة الناس إن هما منتظرين صلاح الدين، أن دورنا إيه ويتينج مشغل الويتينج و قاعد في التكييف، و منتظر ما بتعملش حاجة ليه، منتظر عمو صلاح يجي، مش هيعمل حاجة، هو مش قادر يفهم أن كل شيء بيعمله هو خطوة في التغيير هو لبنة.

كل شيء تفعله هو خطوة للتغيير

النبي –صلّى الله عليه وسلم– بيقول "إنّ مَثَلي ومَثَلَ الأنبياءِ من قبلي ، كمَثَلِ رجلٍ بنى بيتًا ، فأحسَنه وأجمَله إلّا موضِعَ لبِنةٍ من زاويةٍ ، فجعَل النّاسُ يطوفونَ به ، ويعجَبونَ له ويقولون : هلّا وُضِعَت هذه اللّبِنةُ ؟ قال : فأنا اللّبِنةُ ، وأنا خاتمُ النّبيّينَ" صحيح البخاري، النبي –صلّى الله عليه وسلم– يقول فإنما أنا لبنة في موضع البناء على مدار التاريخ، النبي –صلّى الله عليه وسلم– بيقول على نفسه موضع لبنة، طوبة في قصر التغير في بناء التوحيد على مدار التاريخ، فبيقول الى جريمتين، الجريمة الأولى بالنسبة للناس أنه بيزرع عندهم السلبية و الانتظار، و الجريمة الثانية أو المشكلة التانية عند الشخص نفسه القائد معتقد إن هو المغير الأساسي، و إن الناس لازم كلها تخدمه و تعيش في كنفه، لا هو واحد من وسط ناس، يعني صلاح الدين عنده مميزات طبعًا و فاق بيها وصفات شخصية فعلًا فاقت، والفروقات الفردية موجودة بين البشر، إحنا لسه بنتكلم إن فيه ملح، حتى المخلوقات فيه بينها تفاضل، لكن لازم يبقى فيه جيل يخرج منه واحد أفضل منه.

تعامل مع كل شيء أنه خلق مأمور من الله

معايا فهنا مسألة سنة التدريج " يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى"، الكون كله بيتحرك و الذي يسخر و يدبر هذه الحركة هو الله، وكلمة "يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى"، مش هتفضل تجري بمزاجها، ربنا بيقدر لها إمتى وتنتهي إمتى، و توقف إمتى، الشمس تستأذن يوميًا قبل أن تخرج، حتى يأتي يوم تستأذن فيقال لها لا ارجعي من حيث أتيتي، إنت لما تستحضر في صلاة الفجر كده، وتستحضر منظر الشروق أن الشمس دلوقتي بتستأذن، تخيل لما تتعامل مع الكون بهذا القلب، أن هذه المخلوقات العظيمة ملك لله سبحانه وتعالى، مش معنى إن هي مسخرة و إن الكون قائم على الأسباب و المسببات، إن هي خرجت برا تدبير ربنا سبحانه وتعالى، لا لذلك يوشع بن نون لما نظر للشمس قال أنتي مأمورة و أنا مأمور اللهم إحبسها علينا، تقف ووقفت الشمس لغاية لما خلص القتال، لأنه بيقاتل في آخر ساعة و يوم الجمعة و السبت مافيش قتال، و عايز يخلص القتال بدام ما يرجع يستعدوا تاني و يجي تاني، ويبدأ القتال من الأحد تاني، فعايز يخلص القتال في هذه اللحظة، قال اللهم احبسها علينا فحُبست الشمس ليوشع بن نون.

كل شيء بيد الله فماذا فعلتم أنتم؟

مش معنى إن هي "وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ" الكهف:17، مش معنى أن الكون قائم عن الأسباب و المسببات و التسخير أنه يخرج برا تدبير ربنا سبحانه وتعالى، "كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ"، ذلكم دي اللي هو عمل إيه كل الأفعال من أول السورة، اللي هو فاطر السماوات و الأرض، ووزع الأرزاق، وخلق، و حذر المسلمين، و أرسل الرسل، و أرسل الرياح، وبيعز المسلمين، و خلقكم من تراب ثم من نطفة، وما تحمل من أنثى و لاتضع إلا بعلمه، و خلق البحار و فرق بينها، و جعل فيها الخصائص، كل ده اللي عمله ربنا، إنتوا عملتوا إيه ؟ "ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ" له الملك و ما يملكون، شوف هو الملك ربنا و إنتوا مِن ، شوف هو الملك ربنا "مَا يَمْلِكُونَ قِطْمِيرٍ"، القطمير دي القشرة اللي حوالين النوايا، لا يملكوها لا يخلقوها ابتداءًا و لا يستطيعون أن يملكوها بعد ذلك، الملك لله سبحانه وتعالى"وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ"الحج:73.

على قدر التعايش مع المعاني على قدر فهمها

"وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ"، زي ما بنقول المعاني بتاعت القرآن دي، لما تعيش الجو اللي عاشوا الصحابة تستفيد منها، لما تعيش، إحنا بنقول المعاني العظيمة لا يشعر به الإنسان إلا قدر احتياجها، لذلك مثلًا لو إحنا بندي درس عن الرضا بقضاء الله، وأن ما من مصيبة تنزل إلا و فيها صبر وسكينة مع نفس المصيبة "فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا" الشرح:5، مش بعد العسر، و و و، اللي عنده مصيبة هو اللي يشعر بقيمة هذا الكلام، وهو يحتاج، الكلام ده ينزل على قلبه برد وسلام، يقول لك ياه كنت محتاج الكلمتين دول، ممكن يبقى واحد محتاج و الباقي قاعد مش مقدر قيمة هذا الكلام، فالقرآن نازل في واقع حي، واقع صراع بين حق و باطل، واقع سورة فاطر من استضعاف و المسلمين لا يملكون شيء، و سورة سبأ و قلنا في سورة سبأ هما بيملكوا كل العدة والعتاد، و إنت بتحزن على كثرة اللي ساروا في طريق الكفر، و إضحك عليهم من المستضعفين، وزُين لهم سوء أعمالهم، نزول هذه المعاني على قلبك يصبرك، أنت تحتاج إلى هذه المعاني، قال الله عز وجل "كَذَٰلِكَ" أي نزل القرآن مفرقًا "لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ" الفرقان:32، النبي –صلّى الله عليه وسلم– كان يحتاج أن يسمع هذه الكلمات.

هناك أشياء لا يمكن أن تُطلب إلا من الله

هنا ربنا بيقول "وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ"، معقول، يعني الدول العظمى دي و و و ما يملكوش قطمير في الكون، الله عز وجل هو الذي أعطاهم، و هو الذي يقدر أن ينزع كل منهم في لحظة، الله قادر على ذلك نعم الله قادر على ذلك، "وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ" محمد:4، " مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ"، من حتى قطمير اللي هي اللي أتفه حاجة لا يملكوها، "إِن تَدْعُوهُمْ"، لو طلبت منهم ما يُطلب من الله، هنا المقصود أن لا يجوز أن تطلب من البشر الشيء الذي لا يُطلب إلا من الله، إنت ممكن تطلب من واحد حاجه هو يقدر يعملها، و ربنا أذن لك بذلك، إنما ما لايقدر عليه إلا الله لا يُطلب إلا من الله، "إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا"فاطر:14،

لو هنا الكلام على الأصنام مش هيسمع لأنك تكلم حجر، "وَلَوْ سَمِعُوا"، هل بقا ولو سمعوا يعني لو ربنا حتى خلق للأصنام السمع، أو لو اللي إنت بتدعوهم بيسمعوا "مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ".

أكبر حسرة حينما تتبرأ المعبودات ممن عبدوها يوم القيامة

دي أكثر مشهد محزن للكفار و العياذ بالله، مشهد الحسرة لما واحد أفنى عمره في شرك معين، يجي يوم القيامة يتبرأ منه المعبود، الإله اللي عبده تتبرأ منه، تخيل لما الأصنام تتبرأ من المشركين يوم القيامة، أو الملائكة تتبرأ منهم، أو سيدنا عيسى، تخيل لما قدام لما يتجمع المليارات من النصارى لما يتجمعوا في صعيد واحد، وربنا يسأل سيدنا عيسى قدامهم كلهم و يقول له "أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ" المائدة:116، تخيل كلمة سبحانك لما يقولها سيدنا عيسى، شعورهم إيه خلاص ما عادش أمل، أفنى عمره في عبادة باطلة، الحمد لله على نعمة الإسلام، لذلك بيروي في الآثار سيدنا عمر لما مر على راهب في الصومعة و مجتهد في العبادة فقال عاملة ناصبة، يعمل في الدنيا و ينصب في العذاب يوم القيامة، أسوأ شيء اللي هي أفمن زُين له سوء عمله "أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا" فاطر،:8، "وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا" الكهف:104، نعوذ بالله من الضلال.

من يتبع طريق الضلال و يصر الله يوله الله ما تولى

و قلنا بردو عشان الإنسان، الشيطان ما يوسوس له لأن ده بيبقى بسنن، سنة أن ربنا يبين له "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ" التوبة"115،" وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا" الإسراء:15 ، "وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ" النساء:115، يعني بيبقى فيه طريق للمؤمنين واضح هو بيسيبه، ده بنديله اللي هو عايزه "نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ"، "وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ"، الليل10:8، ربنا ييسر له طريق الضلال.

خبرة الله تبارك و تعالى هي الخبرة التي لا يسبقها تجربة

"وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ" يقول له أنا ما أعرفكش، أنا ألقوا إليهم السلم، و يتنازعوا يقول له إنت ما أشركتش بيا يقول له لا إنت سواء بقا كان هنا بقا الرؤساء بيتبرأوا من الضعفاء، أو الألهة الباطلة بتتبرأ، أو حتى اللي إتخذوهم آلهة و هم مؤمنون زي سيدنا عيسى و الملائكة يتبرأون منهم، ثم يقول الله عز وجل "وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ"، ينبئك النبأ ده الخبر العظيم، يعني هذه الأشياء العظيمة التي سوف تحدث يوم القيامة لا يعملها إلا الله، أى مثل خبير أى الله عز وجل، "وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ"، ده مثل بنقوله إيه، كأن معنى الكلام إن ما حدش يتكلم في حاجة إلا الخبير فيها، و ما حدش هيدلك على أصل الموضوع إلا واحد خبير، و أصل كلمة الخبير في اللغة أن واحد عنده خبر، و واحد عنده خبرة بكثرة التجارب، الإنسان يكتسب الخبرة أنه يجرب و يغلط و يجرب و يغلط فيحتاج إلي فترة من الزمان و التجارب عشان يبقى عنده خبرة، الله عز وجل خبير بدون تجارب سبحانه وتعالى، بمعنى أن الله عز وجل يعلم أن عاقبة ده كذا، لا يحتاج أنه يخلقها مره و يجربها فتطلع كذا لا، حاشاه سبحانه، الله عز وجل خبير بدون هذه التجارب، البشر عاجز قاصر علمه ناقص لازم يجرب عشان ياخد خبرة، "وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ".

إحتياج الإنسان لربه في كل لحظة من حياته

و بعدين نداء ثالث نداء في السوره يا أيها الناس، أول نداء كان بالخلق هل من خالق غير الله يرزقكم، ثاني نداء كان بالتحذير من الشيطان، ثالث نداء لو إستقر في قلب الإنسان فعلًا يعيش أسعد حياة،"يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ" فاطر:15 ، الله أكبر يا أيها الناس أنتم مش ربنا، إنت اللي فقير، إنت اللي محتاج ربنا مش ربنا اللي محتاجك، مش معنى إن ربنا بيكلمك و يقول لك على تنوع الآيات و خلق لك التنوع ده في الكون، لا ده هو غني إنت اللي محتاج لربنا، "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ"، حتى بيقولوا ما قالش أنتم فقراء، الألف و اللام دي ليه، فقالوا أفادت الحصر و أفادت الإستغراق، يعني إيه أفادت الحصر يعني إنتوا اللي فقراء بس، يعني إنت محتاج لربنا ربنا مش محتاج لك، وأفادت الإستغراق إنت فقير لربنا في إيه؟ محتاج ربنا في إيه، في كل حاجه، في كل ما تعلمه و ما لا تعلمه، في قبل أن توجد أصلًا "هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا"الإنسان:1،من قبل أن يوجد وهو لسه تراب وهو نطفة، وهو في الرحم و فترة الحمل و أثناء الوضع، ولما بيكبر، في كل لحظة و يحتاج في الخلق و في الرزق، وفي كل حاجه و في المعنويات، يحتاج في كل شيء إلى الله هو يربوا، وهو بينمو يحتاج إلي ربه سبحانه وتعالى.

لا يمكن أن تحيا إلا بالله

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ"، أنت فقير أي محتاج إلي الله في كل شيء، النبي -صلّى الله عليه وسلم-، كان يقول في دعاء الإستفتاح في قيام الليل"أنا بك وإليك" الحديث" أنّ رسولَ اللّهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ كانَ إذا استفتحَ الصّلاةَ ،كبّرَ ثمّ قالَ : وجّهتُ وجهيَ للّذي فطرَ السّماواتِ والأرضَ حنيفًا وما أنا منَ المشركينَ إنّ صلاتي ونسُكي ومحياي ومماتي للّهِ ربِّ العالمينَ لا شريكَ لَه وبذلِك أمرتُ وأنا منَ المسلمينَ اللّهمّ أنتَ الملِك لا إلَه إلّا أنتَ أنا عبدُك ظلمتُ نفسي واعترفتُ بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا لا يغفرُ الذّنوبَ إلّا أنتَ واهدِني لأحسنِ الأخلاقِ لا يَهدي لأحسنِها إلّا أنتَ واصرف عنّي سيّئَها لا يصرفُ عنّي سيّئَها إلّا أنتَ لبّيكَ وسعديكَ والخيرُ كلُّهُ في يديكَ والشّرُّ ليسَ إليكَ أنا بِك وإليكَ تبارَكتَ وتعاليتَ أستغفرُك وأتوبُ إليكَ" صححه الألباني، أي أنا لا أكون لي قوام إلا بك، إلا بالاستعانة بك، و في الصباح و المساء بك أصبحنا، بك أمسينا و بك نحيا و بك نموت، بك أصبحنا و بك أمسينا، فحتى العلماء بيقولوا يعني إيه بك أصبحنا، قالوا بك أي متلبسين بنعمك، يعني لو الباء دي للملابسة الإتصال، يعني غرقانين في النعم ، أو قالوا الباء دي للإستعانة، أو مستعنين بحولك وقوتك، فقالوا أنت لا تستطيع أن تصبح، ولا تستطيع أن تمسي، ولا تستطيع أن تحيا، و لا تستطيع أن تموت إلا في نعمة من الله، و بتوفيق من الله سبحانه وتعالى.

المؤمن دائما مفتقر إلى الله

إنت لمل تيجي تنام بتقول إيه؟ بإسمك ربي وضعت جنبي و بك إيه أرفعه، يعني و إنت داخل تنام بتقول له يارب مش هعرف أنام إلا بتوفيقك، وما أعرفش أرفع جنبي إلا بك، شوف الإفتقار ده المؤمن يجي يقوم من النوم كده، أنا يارب رفعة الجنب دي ما أعرفش أعملها لوحدي، مجي للصلاة، أسمع حي على الصلاة أقول لا حول و لا قوة إلا بالله ما أعرفش أجي لوحدي، المؤمن بيحتاج إلى الله، المؤمن بعد ما يتعب ويشتغل و يجيب فلوس و يجيب أكل، و يخلص أكل يقول: الحمد لله الذي أطعمني هذا و رزقنيه من غير حول مني، أنا ما أعرفش أعمل حاجه أنا مفتقر إلى الله في كل

شيء، منغير حول مني و لاقوة، ده المؤمن، و ما بيقولش كده تواضعًا بيقول كده حقيقةً و يقينًا، ما إحنا عرفنا أهو في السورة بقا مين اللي فكر السماوات والأرض و مين اللي خلق، و مين اللي نوع، و مين اللي قدر و مين اللي دبر، و مين اللي رزق ومين اللي عمل كل ده ربنا، يعني هو بيقول كده يقينًا، مش بيقول كده يعني متواضع، لا دي حقيقة أنه يحتاج إلى الله.

الله غني عنا

الشمس بتستأذن، إنت ممكن نفس يخرج ما يدخلش تاني، لذلك من معنى قول الله عز وجل "إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّ"مريم:84، قال بالنفس، إنت ليك عدد أنفاس معينة و تموت بعدها، فإنت تحتاج إلي الله عز وجل في كل شيء، "أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ"، من أجمل الأسماء، كل أسماء الله جميلة و حسنى، إسم الله الغني تحس إنك مبسوط، أما دايمًا الواحد حتى يقول لك اللي له ظهر مش عارف ما يضربش على بطنه، إنت تخيل لو إنت متصل بالله، معتصم بالله، أي مشكله تقابلك تصف قدميك بالليل و تلجأ إلى الله، لك إله غني ألا تفرح؟ "قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا"يونس:58، إسم يفرح إن ربك غني لا يحتاج إلي أحد، الخلق خلقه سبحانه وتعالى، الغني حتى كان بعض الناس يقول من معاني إسم الله الغني، أن فيه مخلوقات كتير جدًا جدًا جدًا مبدعة يعيش الإنسان ويموت لا يراها، أمال ربنا خالقها ليه؟ هو غني هو مش محتاجلك، كأن إنت معتقد أن ربنا خالقها عشان لما إنت تشوفها تقول سبحان الله، ربنا غني، مخلوقات يعيش الإنسان و يموت.

ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله يعبدون الله ليل نهار

طب تخيل كده البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، فإذا خرجوا لا يعودون إلي يوم القيامة، الحديث "أنّ رجلًا قال لعليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : ما البيتُ المعمورُ ؟ قال : بيتٌ في السماءِ يقال له : الضّراحُ وهو بحِيالِ الكعبةِ من فوقِها حُرمتُه في السماءِ كحُرمةِ البيتِ في الأرضِ يُصلِّي فيه كلّ يومٍ سبعون ألفًا من الملائكةِ ولا يعودون فيه أبدًا" صححه الألباني، الله أكبر يا نهار أبيض إيه ده، ما في السماء من موضع أربع أصابع إلا و فيها ملك قائم أو ساجد أو راكع، الحديث " إِنِّي أرى ما لا ترونَ ، وأسمعُ ما لا تسمعونَ ، أطّتِ السماءُ ، وحُقَّ لها أنْ تَئِطّ ، ما فيها موضعُ أربعِ أصابِعَ ، إلّا وملَكٌ واضعٌ جبهَتَهُ للهِ تعالى ساجدًا ، واللهِ لو تعلمونَ ما أعلَمُ ، لضَحِكتُم قليلًا ، ولبكيتُم كثيرًا ، وما تلذذتُم بالنساءِ على الفُرُشِ ، ولخرجتُمْ إلى الصُعُداتِ تَجْأرونَ إلى اللهِ" حسنه الألباني، إيه الخلق ده إيه الغنى العظيم ده، الإنسان لما بيغيب عن المعاني دي بيعش في أومئوم صغير في الأرض كده في نقطة صغيرة في الأرض و خلاص مشاكلهن مخنوق و مضايق، و محبط ليه، تلاقيه بيكلمك عن حاجه هايفه جدً جدًا.

لا تعيش في دائرة صغيرة تختنق فيها

تخيل مثلًا عشان أقربلك المثال، تخيل مثلًا واحد رخصته إتسحبت في المرور، و بعدين قابل وزير مثلًا اللي مسئول عن المرور في العالم في الجهورية، فبعدين محبط و الراجل بيقول له الوزير ده أو المنصب ده إنت عايز إيه، يقولوا لا الموضوع صعب و الموضوع خطير، و إنت مش متخيل الأزمة و حجم الأزمة ضخم جدًا، ده كتبلي وصل، التاني بيقول له أيوه،

فلما يقول له ده رخصه يقول له أجيبلك عشرة بكرا، رخصة إيه إمشي منغير رخص خالص ما لكش دعوه، هو مش متخيل هو بيتكلم على أده، فعلا "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ"الزمر:67، ولله المثل الأعلى، إنت دايمًا عايش في مشاكل الصغيرة على أد شوية الأسباب اللي حواليك، وشوية الأرض اللي إنت عايشها، و شوية المنطقة ده أخرك.

حينما تتأمل في القرآن فسنتظر للأمور بشكل مختلف

القرآن بيرفعك فوق، يخليك تبص على الأرض من فوق، فيبقى عندك يقين، تشوف كده الأرض من فوق و هـــي نقطة،"وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي"، "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا" يس:38، إنت عمال تبص من فوق و الملائكة طالعة نازله و رسل و أولي أجنحة، و يزيد في الخلق ما يشاء، وخلق التنوع، و خلق و دبر و رزق و فعل و فعل، فالمهم تلاقيه مطمئن، المؤمن لما يعيش مع الآيات حتى لو مش مستحضر يعيش مع الآيات دي، هو بيخرج مطمن هو مش عارف هو مطمن ليه، هو مطمن عشان عرف ربنا، إنت بعد ما تخلص مثلًا سورة زي سورة فاطر، إنت بتطلع مطمن، و عندك سكينة أنت مطمن لأن إنت كنت ضعيف و لسه ضعيف، أنتم الفقراء، و الفقير محتاج دايمًا غني يلجأ له، لذلك أسوأ مصيبة يعملها الإنسان، و أول جريمة بدأ بيها القرآن في سورة إقرأ إنه يستغني يعمل نفسه غني، "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" العلق 5:1، ها يعني السورة بتقول خلق الإنسان من علق يعني الإنسان ضعيف، علم الإنسان ما لم يعمل الإنسان جاهل، و بعد كده ربنا يقول "كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى" العلق:6، بيطغى المجرم بيطغى، بعد ما كان ضعيف و علقة وجاهل، طب بيطغى ليه، "أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى" العلق:7، ما عرفش أنه فقير "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ" هو وحده قصر يعني هو بس "الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ".

عطاء الله لا ينتهي أبدًا

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لان نبي بعده محمد -صلّى الله عليه وسلم-، " يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ"، الفقراء إلي الله في كل شيء، في طعامكم، في منامكم، في حياتكم، في الرزق، في كل شيء، "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ"، عن كل أحد، "هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ"، فقالوا الحميد بعد الغني، ممكن، يعني حاشاه سبحانه وتعالى يعني لكن بالنسبة للبشر، ممكن حد غني لكن أفعاله لا تُحمد، أو غني لا يعطي، لكن الله غني حميد يحمد لأفعاله، و من كثرة ما يعطي يحمده الحامدون، عطاءه متصل، زي ما إتكلمنا في مسألة "مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ"، ربنا لما بيعطي شبهها بمسألة الفتح، حاجات مغلقة و بتتفتح، فاللي بيتفتح ده سيل بينزل، زي العطاء المتجدد، المتصل، فالله عز وجل عطاءه لا ينتهي أبدًا فهو غني حميد، حميد يحمد على كل فعل من أفعاله، لو قلنا حميد بمعنى محمود أي يحمده الناس، حميد يعني غني، و هو غني فكل فعل من أفعاله أهل لإن يحمد عليها سبحانه وتعالى، و أن يشكر عليها، كل فعل ربنا بيعمله يستاهل الحمد، بالتعبير بتاعنا، أو حميد بمعنى يحمد يعني يشكر أفعال الناس، بالرغم أنه غني و مش محتاج للناس في حاجة، إلا لو حد عمل حاجة ربنا يشكره و يديله.

لا تكن معجبًا بعملك فالله غني عنك

يعني الله غني لا يحتاج عبادة أحد، طيب إفرض واحد عمل حاجه، صلى ركعتين هو ربنا لا يحتاج ذلك، يديله، يشكر له ذلك و يعطيه أضعاف مضاعفة، لكن العجيب بقا إن ممكن إنسان يجي للغني الملك سبحانه وتعالى، ويقدم شيء ثم يتباهي بيبقى شكله بايخ أوي اللي بيعمل كده، اللي بيبقى عنده عجب بعمله، تخيل مثلًا مشهد ملك من الملوك غني جدًا، عنده قصور و أي شيء تتخيله عنده، و في السيارات أو الطيارات أو السفن، في أي حاجه تتخيلها في الأطعمة في الأشربة عنده، و الناس بقا اللي جايه تقدم له هدايا مش واحد جايب له عربيه، جايب له أسطول مثلًا سفن، و أسطول السفن ده اللي بيقدم له اللي بيقدمه للملك هدية محرج، لأن الملك ده لا يأتي في ملكه شيء أصلًا، تخيل بقا واحد داخل مثلًا بيكس أسود صغير كده، جايب 2 كيلوا تفاح مثلًا و داخل للملك و فرحان أوي، أنا جيبت التفاح ده إبقوا حطوه في الثلاجة عشان، فرحان شايف عمله أوي، أولًا هيجي وسط مين، لما تقارن نفسك بعباد السلف، هتيجي وسط مين، و في نفس الوقت إنت بتقدم لمين، هو الغني سبحانه وتعالى و لله المثل الأعلى، يعني أحيانًا واحد يقوم يصلي ركعتين بالليل ، فتلاقيه حاسس أنه هيطير بعد الصلاة، يعني تلاقيه حاسس إن هو ممكن و العياذ بالله يعمل الطاعة النفس تفضل وراه العجب يضيعه، هو ناسي أنه مفتقر إلي الله و لم يقم إلا بتوفيق من الله، و لم يقل أي شيء إلا بتوفيق من الله.

الله قادر أن يذهب الناس في لحظة و يأتي بخلق جديد

دايمًا الإنسان يشعر بالمن لله سبحانه وتعالى، و التوفيق لله سبحانه وتعالى، كل حاجه التوفيق منه سبحانه وتعالى، كل شيء منه سبحانه وتعالى، فالشاهد "وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ"، يحمد على أفعاله يحمد للطائعين أفعالهم، و يشكر لهم على ذلك، الخطاب زي ما فيه رحمة و رقة وعطف، فيه خطاب شديد حتى لا يظن المشركون أن الأمر واسع، فيقول الله عز وجل "إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ"فاطر:16، آية مرعبة، ربنا بيقول ربنا قادر أنه ينسف الأرض و يموت كل الناس، ويجيب ناس جديدة تطيعه، لو شاء لفعل، عامل زي الآية الواحد لما بيقرأها مرعبة قول الله عز وجل "قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا"، شوف لما أغضبوا الملك، لما ادعوا أن لله ولد " قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا"المائدة:17، يعني شوفوا إنتوا بتقولوا عيسى بن الله، مين اللي يملك أن ربنا يموت عيسى و أمه و من في الأرض جميعًا، إذا غضب الملك سبحانه وتعالى الكل يجثوا على ركبتيه حتى الأنبياء، يعني حتى الأنبياء تجثوا على الركب و كل الناس تقول نفسي نفسي، سلم سلم، "إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ".

يجب أن تكون من المصلحين لينجيك الله

وما ذلك، واحد يقول إزي، "وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ" فاطر:17، الموضوع سهل، هتعصوا هيأخذ الجميع، بعض الناس هنا قال من معاني الآية دي إيه، لو استمر العصيان كثير و الكفر أكثر من الطاعة، و مافيش مصلحين ربنا هيموتكم كلكم، طب و الطائعين، لما سألت النبي -صلّى الله عليه وسلم-، زوج النبي -صلّى الله عليه وسلم- سألته أنهلك و فينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث، الحديث "يكونُ في آخرِ هذه الأمة خسفٌ ، و مسخٌ ، و قذفٌ ، قيل : يا رسولَ اللهِ أنهلِكُ و فينا الصالحون ؟ قال : نعم ، إذا ظهَرَ الخَبَثُ" صحيح الجامع، طب و يوم القيامة بقا زي ما في حديث ثاني ثم يبعثون على نياتهم، الحديث" إنّ اللهَ تعالى إذا أنزل سَطوتَه على أهلِ نِقمتِه ، فوافَتْ آجالَ قومٍ صالحين ، فـــأُهلِكو

هلاكهم ، ثم يُبعثُون على نيَّاتهم و أعمالِهم" صحيح الجامع، فممكن المسلمين يسمع الآيات دي يترعب، إن هو مش قادر يغير هو ضعيف لوحده، و الفساد شديد، فالعذاب هيجي هنا إيه عام، في عقوبات في معاصي العقوبات بتاعتها عامة، و ده له موضع آخر.

الإعلان بالفاحشة من أكثر أسباب إنتشار الأمراض

في معاصي الشرع عرفنا زي مثلًا ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، أن العقاب منها دي العقوبات بتاعتها أو شيوع الفاحشة، و ما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، الإعلان بالفاحشة، الحديث" يا معشَرَ المُهاجِرينَ خِصالٌ خَمسٌ إنْ ابْتُلِيتُم بِهنِّ ، ونَزَلْنَ بِكم و أعوذُ باللهِ أنْ تُدْرِكُوهُنِّ : لم تَظْهرِ الفاحِشةُ في قومٍ قطُّ حتى يُعلِنُوا بِها إلا فَشَا فِيهِمُ الطاعونُ و الأَوجاعُ التِي لم تكنْ في أسلافِهم ، و لم ينقُصُوا المِكيالَ و المِيزانَ إلا أُخِذُوا بالسِّنِينَ و شِدَّةِ المُؤْنةِ و جَورِ السُّلطانِ ، و لم يَمنعُوا زكاةَ أموالِهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السَّماءِ ، و لولا البهائِمُ لم يُمطَرُوا ، و لا نَقَضُوا عهدَ اللهِ و عهدَ رسولِه إلا سَلَّطَ عليهِم عدُوًّا من غيرِهِم ، فيَأخُذُ بعضَ ما في أيدِيهِم ، و ما لم تَحكُم أئِمَّتُهم بِكتابِ اللهِ إلا جُعِلَ بأسُهم بينَهُم" صححه الألباني، فيه حاجات في الشرع العقوبات بتاعتها عامة، ممكن يجي عقوبات عامة و استئصال عام لجزء من الناس.

يوم القيامة كل سيحاسب عن نفسه

المسلم يخاف فتيجي الآية اللي بعدها تقول له طب يوم القيامة بقا إيه، " وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ " فاطر:18، يعني إذا كان فيه إستئصال عام، أو حصل عذاب عام، أو إهلاك عام، يوم القيامة كل واحد هيتحاسب لوحده،" وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ"، لاحظ الآيات دي من أكثر الآيات فيها بلاغة، الألفاظ بتاعتها طبعًا كل القرآن كده لكن على حسب ما بيفتح على الناس يعني، و لاتذر يعني إيه، تذر يعني إيه، تحمل و الوزر هو الحمل الثقيل، قالوا الوزر و الوقر بمعنى حتى وزنًا و معنى، الوزر، بعضهم قال أن الأزر هو الظهر "اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي"طه:31، يعني منظر واحد ماسك ظهر بيشدك، و قالوا أن الوزر الحمل اللي يتعب الظهر، فلا تزر أي لاتحمل، وازرة كل واحد هيبقى شايل الحمل بتاعه، فربنا سمى كل نفس في اللحظة دي إيه وازرة، وازرة يعني إيه؟ يعني لحظة حمل الأثقال، و لاتزر إيه وازرة يعني واحد في اللحظة دي عامل إيه شايل.

كل مشغول بنفسه يوم القيامة

يبقى " وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ" ، من اللفظة فعلًا هو شايل حمل ثقيل، "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ"هو شايل الوزر بتاعه، في وازرة يعني في واحد جنبه شايل، ما يعرفش يشيل الشيله بتاعته، كل واحد شايل إيه شيلته، "وَلَا تَـــزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ"، أي وزر نفس أخرى، لا تحمل أي نفس حمل نفس أخرى، كل واحد هيشيل إيه شيلته، و سماهـــا وازرة لإنشغالها بحملها ، يعني جاب لفظ ما قالش و لاتزر نفس وزر أخرى، سماها وازرة ليه سماها وازرة، سماها وازرة، سماها بالفعل بتاعها ليه، عشان يعرفك إن هي مشغولة، كل واحد مشغول بنفسه، كل واحد يوم القيامة قاعد عمال يكفر، ده أنا عملت كذا يوم، كل واحد مشغول فهو مش فاضي، " وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ".

لا أحد يحمل عن أحد يوم القيامة ذنوبه

ما حدش هيروح يشيل حاجه من حد، يبقى الجزء الأول من الآية ربنا بيقول ما حدش إيه، يعني مش هتلاقي واحد كده إيه، يقول لك ده إنسان شهم و نبيل طول ما إحنا في الآخرة عمال يروح للناس، يقول له ممكن أشيل عنك سيئة الكلام ده إيه، الكلام ده مش موجود، الكلام ده ممكن فين، في الدنيا يشيل عنه شنط أو يشيل عنه حاجه، إنما في الآخرة الكلام ده مش هتلاقيه، ماحدش هيروح يتطوع ويشيل سيئة حد أبدًا، طب هو مش هيعمل من نفسه طب إفرض حد طلب، شوف بقا الآية "وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ"، الآية دي عـــايزه درس لوحدها، إحنا نمر بسرعه كل لفظه فيها عايزه وقفه، و إن شك ما حدش هيعمل كده، كأن نادر أن حد يعمل كده لأن كله هيبقى ملبوخ، طب فيه ناس الحمل بتاعها ثقيل جدًا، هتعمل إيه" وَإِن تَدْعُ" يعني هتنادي، لكن هتنادي بصوت عالي و فيه إيه، تضرع و بكاء، تخيل مشهد واحد يوم القيامة شايل أحمال و عمال يصوت وينادي،و إن تدع إيه بردو ما قالش نفس قال إيه، مثقلة، مثقلة يعني إيه بقا، يعنى الوزر بتاعها كان ثقيل أوي، و المثقلة النفس الثقلة، ده بعضهم حتى قال و إن كان مش الرأي الراجح، بعضهم قال و لو كانت أنثى، تخيل المنظر ست كبيرة شايلة أحمال ثقيل من الذنوب على ظهرها، "يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ" الأنعام:31، نعوذ بالله من الذنوب.

يوم القيامة يحتاج الإنسان فقط أن يحمل معه هذا الثقل

"وَإِن تَدْعُ"، تنادي بتصوت مثقلة شايله حمل تقيل جدًا جدًا عليها، يبقى مثقلة جت مؤنسة إما عشان النفس، أو عشان مؤنث و ده مرجوح، أو اللي شال حمل طويل بقاله فترة طويلة، لما الإنسان يتمرس في حاجه، زي ما نقول مثلًا عالم لما يتمرس كثير في العلم نقول عليه إيه علامة، تاء التأنيث دي التمكن في الشيء، أو رحالة معايا، رحالة مش معنا مؤنث، أو علامة مش معناه مؤنث، معناه إن هو إيه تمكن في العلم، فمثقلة شايلة حمل ثقيل جدًا " وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا"، عمال يشاور للناس على الحمل بتاعه، يعني هو مش عايز منه لما بينادي، مش عايز منه أي حاجه لا عايز حد يواسيه هو عايز بس حد يعمل معاه إيه يشيل، "وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا"، عايز أي حد يشيل عنه.

لن يحمل عندك أحد و لو ذنب واحد

"لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ"، تاني بقا، لايحمل المفروض لما بتشيل من واحد المفروض تشيل منه و لا تشيل إيه، تشيل عنه، لما تيجي تحمل عنه، لو قال لا يحمل عنه، عن معناه إنك خففت لما شيلت، عني دي بيسموها حرف التجاوز و إزالة، لو كان قال لا يحمل عنه كان معنى الآية، إن ما حدش هيشيل حاجه تخفف، لكن ممكن يشيل حاجه صغيرة، بس ما يحصلش إيه، بمعنى لو واحد شايل ألف كيلو ذنوب على ظهره، و عشان يخف الحمل محتاج حد يشيل 200 كيلو ذنوب مثلًا، فلو كان لا يحمل عنه، كان هيبقى معنى الآية ما حدش هيشيل منه 200 ذنوب لكن ممكن حد يشيل ذنبين ثلاثة، كلمة لا يحمل منه، يعني ما حدش هياخد منه و لا ذنب، سواء خفف أو ما خففش، عشان كده قال لا يحمل منه إيه شيء نكرة ، أعم كلمة في اللغة، مش هياخد منه ولا ربع ذنب.

تخيل معي هذا الموقف

يعني تخيل واحد أو واحده واقفه في نص، مشهد مبكي يعني عايزك تعيش معاه طول الليل النهارده، واحد واقف في عرفات يوم القيامة في العرق، وشايل ألوف مألفة من الذنوب، أو إمرأة و بتصرخ، و بتنادي كل اللي معدي جنبها عماله تصوت، و تنادي عليه و تشاور كتر الكلام، عماله تشاوي على الحمل، طب شيلوا عني و لو شيء، و ولو ذنب، ما حدش، العجيب أنه ممكن تنادي على إبنها و ما يردش عليها، ولو كان ذا قربى، " لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ" ، يعني لو إبنها معدي مش هيشيل عنها سيئة واحده، لو أبوه معدي مش هيشيل عنه ذنب واحد، الله أكبر مشهد مرعب، إيه اللي يخلي إنسان يعيش تابع لحد بقا بعد كده، و الآيات سورة فاطر و تابعة لسورة سبأ بعدها، تعالج مسألة التبعية، أنا عايش في وسط تقاليد، أو المستكبرين، لا إنت هتتحاسب لوحدك، ما حدش هينفعك ما حدش هيشيل عنك ولو ذنب واحد، و لو معصية واحدة ماحدش هيشيل عنك، و مهما قعدت تصوت و تعيط و تنادي، و تشاور و تروح لأقرب الناس وتتحايل، و لو ذنب، يعني قعدت تقول الناس طب أنا خلاص هوزعهم عليكم، هدي، ماحدش يشيل مني 100 معصية كل واحد بس يشيل عني ذنب واحد أبدً، "وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ".

لن يستفيد إلا من يوقن بالآخرة

فمشهد مؤلم، العجيب أن المشهد ده، ما بيأثرش غير في اللي مصدق بالغيب، "إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ " ، رغم أنه مشهد مؤثر لكن اللي مش مؤمن بالغيب مهما قعدت تقول له، فربنا بيقول للنبي –صلّى الله عليه وسلم–، الآيات كافية، و كفيلة بإنابة أي أحد، لكن الناس مش مصدقة بالغيب فلا تذهب نفسك علـــيهم حسرات، زي ما هيجلنا بقا المرة الجايه، "وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ"فاطر:22، خلاص مش بإيدك هتعمله إيه، مش هتعرف تسمعه "إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ" ،" إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ" فاطر:23، وظيفتك الإنذار فقط، فالشاهد إنما وظيفتك الإنذار، "إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ"، اللي مصدق أن فيه غيب و هيخاف من ربنا هو ده اللي هيستفيد من الكلام ده، اللي مش في دماغه الغيب، و مش في دماغه الآخرة، و لا بيصلي ده مش هيستفيد ده هتقد تكلمه للصبح.

الهداية بيد الله وحده

"إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ"، و دلالة إن خايف من ربنا، أنه يحافظ على الصلاة، اللي بيقول أنه خايف من ربنا، و ما بيحافظش على الصلاة كذاب، "إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ"، بردوا ده من التربية النفسية للداعي،"فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ" ، زي ما ربنا بيقول للنبي –صلّى الله عليه وسلم– "لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ" البقرة:272، خلاص هتعمل إيه، زي ما ربنا بيقول للنبي –صلّى الله عليه وسلم "وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّـــى" عبس:7، مش عليك مش هتتحاسب عليه، ما تحملش نفسك فوق طاقتها، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات زي ما جت في السورة،"وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ"، كل حاجه بإيد ربنا في الآخر، هو الأعلم بالناس هـــو اللـــي هيحاسبهم، "وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ"، كل الناس يعودون إلى الله عز وجل، الله عز وجل أعلم بأحوالهم، الله عز وجل هو اللي

هيحاسبهم على أعمالهم، الله عز وجل حفيظ عليهم، الله عز وجل وكيل عليهم، نسأل الله عز وجل أن يزرقنا حسن الخاتمة، أقول قولي هذا و أستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم و بحمدك أشهد لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36